هل ستبني اسرائيل مصنعا للاسلحة في بلجيكا ؟

نعيم خضر

لماذا قتل رجال أيلول الاسود السيد غي عيد القائم بالاعمال البلجيكي في الخرطوم ؟ لماذا عاملوا ممثل بلجيكا الدولة الصغيرة المحايدة او التي تدعي الحياد فيما يتعلق بنزاع الشرق الاوسط كما عاملوا ممثلي الامبريالية الاميركية التي تقدم لاسرائيل الدعم كل الدعم لتفرض هيمنتها العسكرية — والاقتصادية فيما بعد — على منطقة الشرق الاوسط العربية ولتضرب حركات التحرر العربية وتشل حركتها ؟ لماذا اطلق سراح ممثل اليابان وسفير اسبانيا والقائم بالاعمال الاردني واحتجز القائم بالاعمال البلجيكي ليقتل فيما بعد ؟ لماذا اعتبر السيد غي عيد عدوا للقضية الفلسطينية ومن ثم للثورة الفلسطينية ؟ كانت كل هذه التساؤلات تدور في خلد المواطن البلجيكي العادي بعد عملية الخرطوم. وكان الرأي العام البلجيكي يبحث عن الجواب . والرد على هذه الاسئلة في الواقع في منتهى السهولة وفي منتهى الخطورة في آن واحد .

الرد في منتهى السهولة لان كل من تتبع الاحداث الاخيرة على الساحة البلجيكية يفهم تمام الفهم ان السيد غي عيد ذهب ضحية « مشروع اقامة مصنع اسرائيلي لصناعة الاسلحة في بلجيكا » . وفي منتهى الخطورة لانه يحمل الحكومة البلجيكية جزءا كبيرا من المسؤولية في هذا الحادث المؤسف لانها تلكأت في رفض هذا المشروع نهائيا بعد ان كانت قد وافقت عليه مبدئيا بالرغم من المعارضة التي ابداها الرأي العام البلجيكي وخصوصا المنظمات التقدمية . فقد تساءل السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي في المقال الذي يكتبه صباح كل يوم اثنين في صحيفة لا ليبر بلجيك (التي تعبر عن وجهة نظر الاوساط المسيحية)(١): « لماذا فضل (بكسر الضاد) الدبلوماسي البلجيكي الشاب على ممثلي دول اخرى ليكون هو ايضا ضحية القتلة ؟ » ويرد السيد ستروي على السؤال فيقول : « هناك تفسير واحد ممكن : الاشاعات التي دارت مؤخرا حول اقامة مصنع بلجيكي اسرائيلي لبناء الطائرات ... لا شك انه لم يتخذ حتى الان اي قرار نهائي حول هذا المصنع وان اكثرية الرأي العام البلجيكي قد عبرت عن عدائها له بشكل يتزايد كل يوم ... ولكن يؤسفنا الاعتقاد انه كان بامكان السلطات البلجيكية المعنية ان تتجنب مثل هذه الفاجعة باتخاذ موقف صريح يرفض بشكل لا التباس فيه مشروعا يتنافى ورسالة بلجيكا الدولية والتي هي — كما ذكرت في مقال الاسبوع الماضي —(٢) رسالة مصالحة وليست رسالة تاجر مدافع » ... وقالت ايضا صحيفة لا ليبر بلجيك معقبة على احداث الخرطوم ونقلا عن مجلة روز اليوسف المصرية ان رجال ايلول الاسود « عابوا على السيد غي عيد بناء مصانع للطيران بلجيكية اسرائيلية مشتركة»(٣). وقالت صحيفة لوبوبل (الناطقة باسم الحزب الاشتراكي البلجيكي) : « فيما يتعلق ببلجيكا لا شك ان هناك مشكلة بيرسية » (وهي البلدة التي اختيرت لاقامة المصنع)(٤).

الا ان الحكومة البلجيكية رفضت الاعتراف بمسؤوليتها مباشرة كانت ام غير مباشرة . فامتنع السيد ادمون لوبيرتون رئيس الوزراء عن الرد على سؤال صحفي حول احتمال وجود علاقة بين مشروع بناء المصنع الاسرائيلي ومقتل السيد غي عيد . ثم هبت بعض الصحف التي تعودت الصيد في الماء العكر لنجدة الحكومة فادعت ان الفدائيين قتلوا السيد عيد « لانهم كانوا يعتقدونه من اصل يهودي » . فقالت احداها : « لقد صرح الفدائيون للسيد عيد : انت يهودي ولذا ستكون اول من سيقتل »(٥). وتهافت الصحفيون على مثل هذه الانباء واخذوا ينسجون الروايات مستندين الى بعض ما روجت له وكالات الانباء الغربية . فادعى بعضهم ان الفدائيين وصفوا السيد عيد بانه « يهودي قذر » وقال غيرهم ان ما ادى الى ارتكاب الفلسطينيين مثل هذا الخطأ هو كون السيد عيد يحمل اسما يهوديا (!)

ووجد وزير الخارجية البلجيكي في هذه الاشاعات مخرجا سهلا من الازمة التي اوقعته فيها عملية الخرطوم . فحاول بدوره اشاعة الفكرة بان السيد عيد قتل لاسباب عنصرية . فقد طرح السؤال التالي على الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية في المؤتمر الصحفي الذي يعقده اسبوعيا : « أصحيح ان قاتلي الدبلوماسي البلجيكي قد شتموا ضحيتهم لانه يهودي ؟ » فاجاب : « نعم . لدينا معلومات تفيد بأن دافعا عنصريا قد لعب دورا